

التفسير العقلي: دراسة لإيجابياته وسلبياته

Rational Tafsīr: A Study of Its Positive and Negative Aspects

رضوان جمال الأطرش²

Radwan Jamal Elatrash

فاطمة أحمد محمد عبدالله العلي¹

Fatimah Ahmad Abdallah Alali

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة المقصود بالتفسير العقلي، وبيان أهميته وشرفه وفضله، مع التركيز على تاريخ نشأة المدرسة العقلية القديمة والحديثة، وبيان منهج المدرستين، وأصولهما وأسسهما، بالإضافة إلى دراسة إيجابيات وسلبيات التفسير العقلي بموضوعية علمية، وصولاً إلى توضيح الواجب على المفسر في مدى الأخذ بمنهج التفسير العقلي، وتم اعتماد المنهجين الاستقرائي والتحليلي؛ لمناسبتهما لموضوع البحث، وأظهرت الدراسة بعض النتائج ومنها: أن هناك اتفاق واختلاف بين المدرستين، وأن المدرسة العقلية الحديثة في التفسير بنت جذورها على أصول المدرسة العقلية القديمة في التفسير.

الكلمات المفتاحية: التفسير، العقلي، المدرسة العقلية.

ABSTRACT

The research focuses mainly on rational interpretation and the history of the genesis of the old and modern rational schools, their methods and principles, in addition to the study of the merits and demerits of rational interpretation in relation to the objectivity of knowledge, in order to clarify the extent in which an interpreter is expected to adopt rational interpretation. Therefore, inductive and analytical methods were adopted, due to their relevance to the subject of the research. The study has revealed some results such as: There is agreement and disagreement between the two schools, and that the modern rational school of interpretation built its roots on the principles of the old rational school of interpretation.

Keywords: Tafsīr, Rational, Rational School.

¹ طالبة دكتوراه بقسم الفقه وأصوله، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

² الأستاذ المشارك بقسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المقدمة

الحمد لله خالق الأرض والسموات، حمداً يليق بذاته وجلاله، وكبريائه وجماله، وعظمته وكماله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

فإنه قد تشعبت الآراء في مسألة تفسير القرآن؛ فمنهم من قال أن النبي ﷺ فسر القرآن كله ومنهم من قال أنه فسر بعضه. والحقيقة أنه فُسر بعض القرآن من خلال القرآن نفسه ومن خلال السنة النبوية، وذلك لشحذ العقول، وتبصير القلوب لتتدبر كلام ربها سبحانه وتعالى، وتستنبط منه أحكام دينها وتستدل عليها به، فكلٌ يجتهد بما فتحه الله عليه، إلا أنه من سالف الزمن ظهر من حاد عن الطريق السوي في التفسير، فقدم العقل على النقل، وأنكر الأحاديث الصحيحة، وصحح الضعيفة والموضوعة، ومنهم من حرف اللغة ومعاني الكلام، وكل ذلك نصرة لفرقة أو مذهب، وصار تفسيرهم بالرأي المذموم المنهي عنه، والذي تجاهل الكثير من شروط التفسير والمفسر وأدواته وآدابه، فهذه الشروط "كألاية للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه"³، وقد لاقت تلك المذاهب والمدارس التفسيرية رواجاً وانتشاراً، وحتى ظهرت مدارس تفسيرية حديثة كانت بمثابة امتداد لتلك المدارس والمذاهب التفسيرية القديمة التي حادت وجانب الصواب بحسن أو سوء نية، ولا ينكر أن لتلك المدارس فضل في الرد على أعداء الإسلام بالردود العقلية والأساليب الكلامية، إلا أنها وقعت بأخطاء صريحة في علم التفسير.

وقد تعددت كتب التفسير في القديم والحديث، ومع اختلاف مناهجها وتنوع أساليبها واتجاهاتها لا تخلو مما يخالف الدين، وينحرف عن النهج السليم الذي يقتضيه النص القرآني القويم، ومنها منهج المدرسة العقلية في التفسير، الذي هو عنوان هذا البحث، وكما لا تخفى أهمية العقل في الإسلام، لا تخفى خطورة التمادي في مدحه وتقديسه؛ كما سار على هذا النهج أصحاب المدرسة العقلية في التفسير، وضلوا وأضلوا عندما قدموه على النقل، وردوا الأحاديث الصحيحة التي تخالفه، وأعطوه المكانة التي هي أعلى منه، وهذا يدعونا إلى دراسة منهجهم، والتحذير من السلبيات

³ عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ-1974م)، ج4، ص216.

التي وقعوا فيها، وذكر الإيجابيات التي أصابوا الحق فيها، وفي هذا كله يتبين لنا -بتوفيق الله- المنهج الذي ينبغي أن يسلكه المفسر في تفسير كتاب الله ﷻ.

مشكلة البحث

تتمحور إشكالية البحث حول نسبة التفسير العقلي المعاصر إلى المدرسة العقلية القديمة التابعة للمعتزلة، حيث إن المدرسة العقلية القديمة قدست العقل لدرجة تقديمه على النقل؛ ولهذا كان لهاتين المدرستين مناهج تفسيرية خاصة، واستخلاص إيجابيات وسلبيات التفسير العقلي عند المدرسة العقلية القديمة والحديثة على حد سواء، في إطار من الموضوعية.

مفهوم التفسير العقلي.

ينبغي هذا المفهوم على معناه اللغوي والاصطلاحي حتى يتضح بصورته التامة، وتحديد المصطلحات وتعريفها يعد فريضة موضوعية ومنهجية، فرضها تنوع الدلالات وتعدد المعاني للمصطلح الواحد⁴، فكل يعرف المصطلح من الزاوية التي ينظر إليه منها، وبناء على الجو المحيط والخلفية الفكرية.

تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

تعريف التفسير لغة: التفسير " في اللغة: هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]، وهو مأخوذ من الفسر أي: الإبانة والكشف.⁵

أما تعريفه اصطلاحاً: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.⁶

تعريف العقل لغة واصطلاحاً

⁴ رضوان جمال الأطرش، "مبتكرات القرآن اللغوية وعاداته"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، (ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة الثانية، العدد الخاص "لسانات تطبيقية"، سبتمبر 2011م). ص 53.

⁵ محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج5، ص55.

⁶ محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، (القاهرة: دار التراث، د.ط، د.ت) ج1، ص13.

العقل لغة: "يأتي بمعان عدة، منها: الحبس، ونقيض الجهل، يقال: عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجمله قبل، أو انزجر عما كان يفعل، والحجر والنهي: العقل: الحجر والنهي ضد الحمق"⁷، فكل هذه المعاني تشير إلى أن العقل أداة العلم والمعرفة، والتمييز بين الأشياء.

وأما اصطلاحاً؛ فإن التعريف الذي اختاره العلماء: أن يقال: العقل يقع بالاستعمال على أربعة معانٍ: الغريزة المدركة، ويقول شيخ الإسلام فيها: "الغريزة التي يعقل بها الإنسان، وهذه مما تتنوع في وجودها، والسلف والأئمة متفقون على إثبات هذه"⁸. ويقول ابن تيمية في تعريفه للمعنى الثاني للعقل: "علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه، وبين العاقل الذي جرى عليه العقل، فهو مناط التكليف"⁹.

تعددت الآراء في بيان هذا النوع من التفسير، فمنهم من قال أنه: الاستفادة من القرائن العقلية الواضحة التي تكون مورد قبول جميع العقلاء لفهم معاني الالفاظ والجمل، ومن جملة القرآن والحديث، ومنهم من قال: أن التفسير العقلي هو بعينه التفسير الاجتهادي، كالشيخ محمد هادي معرفة، حيث قال: التفسير الاجتهادي يعتمد العقل والنظر أكثر مما يعتمد النقل والأثر ليكون المناط في النقل والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد¹⁰. وقال الأستاذ محمد علي إيازي في هذا الشأن: "وهذا مصطلح في قبال التفسير بالرأي - المذموم - الناتج من هوى النفس والبدع والمراد منه المنهج الاجتهادي القائم على القواعد العقلية القطعية في شرح معاني القرآن والتدبر في مضامينه والتأمل في ملازمات بيانه"¹¹.

⁷ جار الله محمود الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: باسل محمد عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/1998م)، ج1، ص670.

⁸ عثمان علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، (الرياض: مكتبة الرشد، ط5، 1414هـ/2006م)، ج1، ص158.

⁹ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الاحاد من القائلين بالحلول والإتحاد، تحقيق ودراسة: د.موسى بن سليمان الدويش، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1422هـ/2001م)، ص249-251.

¹⁰ انظر: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، (د.م: د.ن، ط1، 1419هـ/1998م)، ج2، ص349.

¹¹ محمد علي إيازي، التفسير والمفسرون حياتهم ومنهجهم، (طهران: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1، 1313هـ)، ص40.

ومنهم من قال: "أن التفسير العقلي هو نوع من أنواع التفسير بالرأي، كالشيخ خالد عبد الرحمن العك، حيث قال: التفسر العقلي هو ما يقابل التفسير النقلى، وهو يعتمد على الفهم العميق والمركز لمعاني الألفاظ القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ، وفهم دلالاتها، وللعلماء تسمية للتفسير العقلي هي التفسير بالرأي"¹².

والأقرب للصواب، التعريف الأول المنسوب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية لمناسبة ما جاء فيه للمسمى الاصطلاحي "التفسير العقلي"، على اعتبار أن تفسير النصوص الشرعية أو النقلية بمجرد العقل يُعتبر مقبولاً إذا لم يخالف مقاصد القرآن الكريم.

نشأة التفسير العقلي قديماً وحديثاً

عرض التاريخ نشأة المدرسة العقلية قديماً وحديثاً، ويبيّن لنا منبت البذور الأولى للتفسير العقلي: حيث كانت الولادة الأولى للتفسير العقلي في الوقت الذي ظهرت فيه العديد من الفرق الإسلامية، والتي كان من بينها فرقة المعتزلة، الذين اتخذوا من التفسير بالرأي منهجاً لهم، ومن العقل سلطاناً، وقالت: خلق العقل ليعرف وهو قادر على أن يجلو كل ظلمة، فحكموه في إيمانهم وفي جميع شؤونهم الخاصة والعامة¹³، حتى كانت مرتبة العقل عندهم تسبق الكتاب والسنة والإجماع والقياس، يقول مفسرهم الزمخشري عن العقل والسنة: "امش في دينك تحت راية السلطان ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان"¹⁴.

ولما كانت المدرسة تعطي العقل هذه المكانة، صار لها منهج عقلي في التفسير والعقيدة أول ما كان ونشأ، "وقد حكموا العقل أكثر من تحكيمهم للشرع، بل جعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية، فكذبوا ما لا يوافق العقل من الحديث وإن صح، وأولوا ما لا يوافق من الآيات وإن وضحت، بل حاولوا إخضاع عبارات القرآن لأرائهم وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع مبادئهم"¹⁵.

ومن الأمثلة على ذلك:

أهم أولوا الآيات الدالة على إثبات الرؤية، كقوله تعالى: ﴿وَجُوهَ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾
 ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23]، بأن "النظر إلى الله تعالى لا يصح؛ لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة

¹² خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت: دار النفائس، ط2، 1406هـ/1986م)، ص167.

¹³ انظر: محبوب بن ميلا، الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم، (تونس: الشركة القومية للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت)، ص114.

¹⁴ جار الله محمود الزمخشري، أطواق الذهب في المواعظ والخطب، (بيروت: مطبعة جمعية الفنون، د.ط، 1293هـ)، مقالة 37، ص28.

¹⁵ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (دار الكتب الحديثة، ط1، 1381هـ)، ج1، ص372-373.

نحو الشيء طلباً لرؤيته، وذلك لا يصح إلا في الأجسام، فيجب أن يتأول على ما يصح النظر إليه، وهو الثواب، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] فإننا تأولناه على أهل القرية لصحة المسألة منهم¹⁶، وهذا ما أردنا الإشارة إليه من كون منهجهم مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

وبعد سقوط الدولة الإسلامية ونهضة الدولة الغربية، سعت أوروبا للفصل بين الدولة الدينية والدولة المدنية في البلاد الإسلامية، فقامت المذاهب محاولة في الرد على هذه الأفكار، وحاولت فئة منهم التوفيق بين الدين والعلم، وبينت للناس أن الدين الإسلامي الحق لا يحارب العلم ولا يناهز العقل، وأنه دين العقل والحرية والفكر، وذهبت تبين للناس ذلك المنهج وتقييم الدين الإسلامي على العقل-الذي لا يقر أرباب الثقافة الغربية غيره حكماً- وبينت أن ليس في الإسلام ما لا يقهر العقل، وحاولت أن تفسر القرآن الكريم على هذا المنهج وهذا الأساس، وكان لهذه المدرسة العقلية رجال كان لهم نشاط واسع في نشر هذه الثقافة ومكافحة الاستعمار ومقاومة الهجوم على الدين، وإلقاء التبعة عليه في التخلف الحضاري، وكان من رجال هذه المدرسة المؤسسين لها: جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، وتلاميذه محمد مصطفى المراغي، ومحمد رشيد رضا، وغير هؤلاء كثير.

منهج المدرسة العقلية في التفسير قديماً وحديثاً:

وضعت المدرسة العقلية في التفسير أسساً وأصولاً ضمن منهج يخدمها، ويخدم أفكارها، ولكنها لم تلتزم به تماماً، وإنما خالفت بعض الأصول، وتجاوزت بهذه المخالفة الحدود الصحيحة التي ينبغي أن تتحلى بها في تفسير كتاب الله عز وجل، فالمعتزلة بنوا عقيدتهم على أصول خمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي سبيل دعم هذه الأصول وتقويتها حتى تلاقي قبولاً بين المسلمين كان لابد من استنادها إلى أدلة من القرآن الكريم، وقد كان أصل تأسيسهم لها العقل المجرد عن النصوص وما وافق منهجهم من النصوص فإنما وافقه عرضاً لا قصداً، فهم إنما بنوا أصولهم على العقل ثم بعد هذا رجعوا إلى النصوص، واختاروا ما يوافقها منها، وبقي مالم يوافقها وهو كثير عقبة أداء في طريقهم أعدوا له عدتهم، واستنفروا له كل العلوم والمعارف¹⁷.

وقام رجال المدرسة العقلية الحديثة ببناء منهجهم في التفسير على عدة أسس، ذكرها الأستاذ فهد الرومي، وهذه الأسس فيها من الحق والصواب كما فيها من الخطأ والزلل، وهذه الأسس هي:

الأساس الأول: الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، ويقصد بالوحدة الموضوعية: اتحاد الموضوع الذي ذكر متناثراً بحيث لا يكون فيه تباين أو اختلاف، بل يؤلف وحدة كاملة، كما نقول: وحدة الموضوع؛ فالمراد بالوحدة الموضوعية في

¹⁶ عبد الجبار أحمد الهمداني، تنزيه القرآن عن المطاعن، (بيروت: دار النهضة الحديثة، د.ت)، ص 442.

¹⁷ انظر: فهد عبد الرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، (مؤسسة الرسالة، ط2، 1403هـ/1983م). ص 56.

القرآن هو البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها الكتاب الحكيم في سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبخته¹⁸، ومثال ذلك: أن سورة البقرة وحدتها الموضوعية: "إعداد الأمة لعمارة الأرض والقيام بدين الله، وبيان أقسام الناس، وفيها أصول الإيمان وكليات الشريعة".¹⁹

وهو من الأسس المهمة التي وقع الخلاف فيها بين العلماء، ووجد فيه أعداء الإسلام سبيلاً لينفتوا سمهم، فزعموا: أن القرآن ليس فيه وحدة للموضوع، فرد عليهم رجال المدرسة العقلية بإثبات الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، وكان قد سبقهم إلى هذا القول العديد من العلماء نذكر منهم: الشيخ ولي الدين الملوي الذي روى عنه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في الاتقان: "قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ماني اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجر البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكمله لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقى له".²⁰

وذهب آخرون إلى نفي الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، ورأى رجال المدرسة العقلية الأخذ بالقول الأول ونفي الثاني، رداً على المستشرقين، وهم بذلك أخذوا أحد القولين، فالوحدة الموضوعية يتفق الطرفان فيها على أنها اجتهاد واختيار وليست حكماً، وذلك لعدم وجود دليل عليها، فلا بد للحكم من دليل.

الأساس الثاني: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم:

عد رجال المدرسة العقلية الحديثة الوحدة الموضوعية محوراً أساسياً لتفسير النصوص نافين بذلك تقييد النص بأسباب النزول أو ربطها بحوادث معينة ومما قاله الرومي في هذا الخصوص: "ولتأكيد الوحدة الموضوعية بين آيات القرآن الكريم، سعى رجال المدرسة العقلية الحديثة إلى الموازنة بين هذه وتلك، فينتقون في التفسير ما يلتئم مع السياق، ولربما استعرضوا آراء المفسرين السابقين في تفسير كلمة قرآنية فيقرون آراءهم أو يرفضونها لمخالفتها لهذا الأساس الذي يؤمنون به، فرى محمد عبده مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: 1، 2]، "كثر خلاف المفسرين والرواة في معنى كل من والفجر وليال عشر، إلى آخر ما أقسم به، وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى، ثم يأتي في الليالي العشر بما لا يلائمه، وغالب ذلك يجري بخلاف ما عودنا الله في نسق كتابه الكريم، وقد جرت سنة الكتاب بأنه إذا

¹⁸ محمد محمود حجازي، الموضوعية في القرآن الكريم، (القاهرة: مطبعة المدني، ط2، 1970م)، ص33-34.

¹⁹ جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، (مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1435هـ)، ج1، ص2.

²⁰ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (مصر: مصطفى الحلبي، ط3، 1370هـ/1951م)، ج2، ص110.

أريد تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه، كيوم القيامة في لا أقسم بيوم القيامة، وكاليوم الموعود في سورة والسماذ ذات البروج، وكليلة القدر في سورتها، فإذا أطلق الزمن ولم يقيد، كان المراد ما يعمه معنى الاسم، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿[التكوير: 17، 18]، فالفجر - هنا على هذا - هو جنس ذلك الوقت المعروف الذي يظهر فيه بياض النهار في جلد الليل الأسود، وينبعث الضياء لمطاردة الظلام، وهو وقت تنفس الصبح، وهو معهود في كل يوم؛ فصح أن يعرف بالألف واللام²¹.

الأساس الثالث: الشمول في القرآن الكريم

جاءت الشريعة الإسلامية للناس كافة، صالحة في كل زمان ومكان، فعالة لكل قطب وقطر ولكل وقت وحين، فلا عجب أن يكون كتابها القرآن الكريم شاملاً وعماماً وحاوياً لجل الأمور الدينية والدنيوية، وما فيه صلاح العباد ونفعهم ونجاتهم، ولهذا كان الأصل عند هذه المدرسة الشمول في النص القرآني وعدم محدوديته، يقول محمد رشيد رضا: "فإن كان مات من كانوا سبب النزول؛ فالقرآن حي لا يموت ينطبق حكمه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان"²³.

ومن أمثلة ذلك قول الأستاذ مصطفى المراغي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27]، يقول بعد ذكره سبب النزول يصح أن يكون هذا أو غيره سبب نزول الآية، لكن الآية عامة تشمل كل خيانة لله ورسوله.

الأساس الرابع: القرآن هو المصدر الأول للتشريع

ويقصدون بهذا: أن الإسلام هو القرآن وحده، وينبذون السنة ويفصلونها عن الشريعة الإسلامية²⁴، مستدلين بآيات منها: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، [الأنعام: 38]، وهذا منهج من يُسمون بالقرآنيين الذين يرون أن الدين بكافة تفاصيله وأحكامه موجود في القرآن فقط دون غيره، ولا قدسية للسنة النبوية؛ لأنها معرضة للحذف والإضافة والتحريف؛ لأنها نقولات بشرية بزعمهم، والبشر معرضون لكل هذا، وهو أساس واضح خطؤه، وجلبي زيغه، إذ إن الكثير من الأحكام العامة جاء تفصيلها في السنة النبوية، إضافة إلى إرشاد القرآن بالأخذ بما جاء عن رسول الله ﷺ سواء بالقول أو الفعل أو التقرير، أمرا كان أو نهيًا، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

²¹ محمد عبده، تفسير جزء عم، (الأزهر: مكتبة محمد علي صبيح، د.ط، 1387هـ)، ص76.

²² انظر: فهد عبدالرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص233.

²³ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (مصر: دار المنار، ط4، 1373هـ/1954م)، ج1، ص153.

²⁴ انظر: فهد عبدالرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص246.

الأساس الخامس: ترك الإطناب فيما ورد مبهما في القرآن الكريم، والمقصود بالإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة²⁵. ومثال ذلك قولهم في المراد بالنفس في قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ [النساء: 1]: "نحن لا نحتج على ما وراء مدركات الحس والعقل إلا بالوحي الذي جاء به نبينا ﷺ، وإننا نقف عند هذا الوحي لا نزيد ولا ننقص كما قلنا مرات كثيرة، وقد أبحم الله تعالى ههنا أمر النفس التي خلق الناس منها، وجاء بها نكرة، فندعها على إبهامها"²⁶.

الأساس السادس: التفسير العلمي الحديث

ورأيهم فيه المعارضة والتحذير منه، وأنه يصرف ويشغل عن المقاصد العالية، ثم هم بعد قولهم هذا يستدلون به في تفاسيرهم، ويؤكد هذا قول الشيخ مصطفى المراغي: "وجد الخلاف بين المسلمين في العقائد والأحكام الفقهية، ووجد عندهم مرض آخر وهو الغرور بالفلسفة وتأويل القرآن ليرجع إليها وتأويله لبعض النظريات العلمية التي لم يقر قرارها، وهذا خطر عظيم على الكتاب، فإن للفلاسفة أوهاما لا تزيد على هذيان المصاب بالحمى، والنظريات التي لم تستقر لا يصح أن يرد إليها كتاب الله"²⁷.

وهذا مما يدل على رفضهم وتحذيرهم منه والاستناد عليه، ثم تبيّنت أقوال ونصوص أخرى أنهم يدعون إليه ويجذبونه وينكرون على من لا يرون به ويصفونهم بالجمود، كما يقول السيد جمال الدين الأفغاني: "عمّ الجهل وتفشى الجمود في كثير من المتردين برداء العلماء حتى تحرّصوا على القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة والقرآن بريء مما يقولون"²⁸.

الأساس السابع: المنهج العقلي في التفسير

وهذا أحد أهم أسسهم وأبرزها، وهو امتداد لفكر المدرسة العقلية القديمة، فقد جعلوا العقل الأصل الأول في الإسلام وقدموه على النقل وجعلوه أصلا من أصول الدين وثوابته الراسخة، يقول محمد عبده: "الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم"²⁹، ثم قال: "والأصل الثاني للإسلام، تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض"³⁰، ويقول

²⁵ نصر الله محمد الشيباني، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1420هـ)، ج2، ص 120.

²⁶ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج4، ص324.

²⁷ محمد مصطفى المراغي، مجلة الأزهر، المجلد التاسع: الدروس الدينية، (1357هـ)، ص173.

²⁸ محمد المخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني، (لبنان: دار الفكر الحديث، ط2، 1385هـ)، ص100.

²⁹ محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، (مصر: دار المنار، ط7، 1367هـ)، ص72-73.

³⁰ محمد عبده، الإسلام والنصرانية، ص72-73.

الأستاذ محمد رشيد رضا: "ذكرنا في المنار غير مرة أن الذي عليه المسلمون من أهل السنة وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها أن الدليل القطعي إذا جاء في ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين"³¹.

الأساس الثامن: التحذير من التفسير بالإسرائيليات.

"والإسرائيليات هي ما يروى عن أهل الكتاب عامة، وإنما أطلق عليها لفظ "الإسرائيليات"؛ لمجاورة اليهود للمسلمين في المدينة، وكونهم أول من نشرها من المسلمين"³². فقد حذروا من الخوض فيها ومن تناولها عند تفسير القرآن الكريم، ونعوا على المفسرين السابقين تناولهم لها، وعدوا هذا عليهم خطأ لا يغتفر، حتى أدى بهم هذا إلى تكذيب بعضها مع موافقتها لما صح في شريعتنا، ثم بعد هذا لم يلتزموا بنهجهم، ووقعوا فيما هو أشد منه، ويبين هذا ما ذهبوا إليه في أقوالهم التي سنذكر بعضاً منها:

قال الشيخ عبدالعزيز جاويش عن الإسرائيليات: "هذا وليحذر المسلمون قراءة ما جاء في تفاسير القرآن في هذا الموضوع من الإسرائيليات وما ابتدعه أصحابها من التأويلات، وغريب الروايات، فإنها مضلة للعقول مبعدة لها عما قصده كتاب الله الحكيم"³³. وقال السيد محمد رشيد رضا: "رووا في قصة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 243] روايات من الإسرائيليات التي ولع بها المفسرون، وكلفوا بتطبيق كتاب الله تعالى عليها أشهرها أبعدها عن السياق وهي رواية السدي"³⁴.

ثم هم بعد هذا خالفوا منهجهم وأساسهم، وأباحوا لأنفسهم ما لم يبيحوه لغيرهم، فاستشهدوا ونقلوا من الإسرائيليات ما خالف نص القرآن الكريم، ولم ينقدوه أو يطلوه، وإنما حرفوا نصوص القرآن لتوافق ما جاؤوا به من تلك الإسرائيليات. ومن ذلك ما ذكره عبدالقادر المغربي في تفسير جزء تبارك حيث يقول: "وذكر في الأسفار القديمة أن نوحاً ولد لسنة 182 من عمر أبيه (لامك) ولسنة 1056 لجدته الأكبر آدم عليه السلام، ومعنى نوح: الراحة والتعزية، وكان عمر نوح 500 سنة لما أخذ يلد أولاده ساما وحاماً وبافث، وكان عمره 600 لما حصل الطوفان"³⁵.

³¹ محمد رشيد رضا، شبهات النصارى وحجج الإسلام، (القاهرة: دار المنار، ط2، 1367هـ)، ص71-72.

³² فهد عبدالرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص312.

³³ عبدالعزيز جاويش، تفسير أسرار القرآن، (الأستانة: مطبعة الهداية، د.ط، 1331هـ)، ص138.

³⁴ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ص454-455.

³⁵ عبدالقادر المغربي، تفسير جزء تبارك، (المطبعة الأميرية، د.ط، 1366هـ)، ص56.

ولكن مراقبة الثقافة بالأزهر تعلق على هذا بقولها: "قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ [العنكبوت: 14] يفيد أن الطوفان حدث بعد أن أمضى نوح بين قومه 950 سنة، فالقرآن يخالف في ذلك ما نقله المؤلف عن الأسفار القديمة"³⁶.

الأساس التاسع: التقليل من شأن التفسير بالمأثور

فهم إذا أشكل عليهم حديث، لا يترددون في تأويله وفق ما يوافق مذهبهم، فإن قبل التأويل وإلا أبطلوه وكذبوه وطعنوا في رواته وطرقه ولو كان في الصحيحين والكتب الستة كافة، وهم كثيرا حين يطلون هذا الحديث أو ذاك لا يسلكون المنهج العلمي المعروف والمتبع لدى المحدثين في ردّ الأحاديث، وإنما يطلونه لأنه لا يوافق ما ذهبوا إليه³⁷، فكما ذكرنا أنهم سلكوا بذلك منهج القرآنيين الذين يرون ألا قدسية إلا للقرآن، وأن السنة النبوية قد يعترتها من التحريف ما يوجب صرف النظر عنها.

يقول الشيخ أحمد مصطفى المراغي: "ومن ثم رأينا أن لا نذكر رواية مأثورة إلا إذا تلقاها العلم بالقبول، ولم نر فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين أهله، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصداق المعرفة، وأشرف لتفسير كتاب الله، وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية لا يقنعها إلا الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة"³⁸.

الأساس العاشر: إنكار التقليد وذمه والتحذير منه، والمقصود بالتقليد كما قال الزركشي: "قبول قول القائل، وأنت لا تعلم من أين قاله، أو قبول القول من غير حجة تظهر على قوله"³⁹. يقول الرومي: "ومن الواضح البين أن موقفهم من التقليد قد تولد من موقفهم من العقل، فهم حينما حكموا العقل ورضوا به إماما وهاديا ومرشدا قدموه على النص وأولوا النص بما لا يخالف العقل، وردوا كثيرا من الأحاديث الصحيحة لزعمهم أنها مخالفة للعقل، ومن يفعل هذا في السنة النبوية ففعله له في أقوال السلف الصالح أشد وأعظم، فذمهم للتقليد أهله وتطرفهم فيه لا يخفى"⁴⁰، وهم بذلك ينكرونه، وينعتون المقلدين بالجمود، ويدعون إلى فتح باب الاجتهاد والاستدلال والنظر، وهي دعوة حسنة في ظاهرها، إلا أنها تهدف في ثناياها إلى إنكار كل قديم وأن يفتح الباب على مصراعيه لكل جديد. قال السيد رشيد رضا: "لا إصلاح

³⁶ عبدالقادر المغربي، تفسير جزء تبارك، 56 الهامش.

³⁷ انظر: فهد عبدالرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص336.

³⁸ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (مصر: مكتبة مصطفى الحلبي، ط3، 1394هـ)، ج1، ص19.

³⁹ محمد بن عبد الله الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، (دار الكتب، ط1، 1994م)، ج8، ص316.

⁴⁰ فهد عبدالرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص368..

إلا بدعوة، ولا دعوة إلا بحجة، ولا حجة مع بقاء التقليد، فاغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل اصلاح⁴¹.

الأساس الحادي عشر: الإصلاح الاجتماعي، والمقصود به في مفهومه البسيط، وبحسب ما تدل عليه اللغة: مناقضة الفساد الاجتماعي، وإقامة مجتمع بديل عنه يبنى على أسس فكرية وعقدية سليمة، تنشأ عنها سلوكيات صحيحة، تشمل جميع المظاهر الاجتماعية.⁴² يقول الرومي: "فهم قد دعوا الناس إلى التفتن لما في القرآن من الفضائل، والابتعاد عن فلسفة الشعوبية وآدابها، أو التنازع في زينة الدنيا وسلطانها، واشتهرت عنهم الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وهم يطلقون الوحدة الإسلامية على "الاتحاد الشرقي" بمختلف دياناته وأجناسه، وهي في حقيقتها دعوة للاستعانة بالمشركين على الكافرين"⁴³، ونادوا بالحرية السياسية، والحرية من العبودية لغير الله، وحرية الفكر والعقيدة، وإصلاح العقائد وتنقيتها مما طرأ عليها من البدع والمنكرات، وحذروا من تقديس الأولياء والذبح عند قبورهم واستغاثتهم بهم، وبالرغم من تحذيرهم الشديد لهذا النوع من المعتقد الزائف؛ نرى زعيم هذه المدرسة الأول السيد جمال الدين الأفغاني يقع منه هذا الفكر المنكر، ويستغل هذا المنكر أبشع استغلال، فقد لجأ إلى مقام عبدالعظيم خوفاً من ناصر الدين شاه، ويصفه ويظهره بمظهر القداسة أمام العوام ولو كان بالكذب والخداع⁴⁴.

دراسة لإيجابيات وسلبيات التفسير العقلي

بعد أن تم تعريف المدرسة العقلية في العصر القديم والحديث، وذكر منهجها، وذكر الأسس التي قامت عليها، فإن من تمام الموضوعية والحياد توضيح الإيجابيات والسلبيات المتعلقة بهذا النوع من التفسير، وذلك استمداداً من المنهج الذي أقاموا به مدرستهم، وبنوا على أساسه أقوالهم، وهو نقد للأفكار لا لأصحابها.

إيجابيات التفسير العقلي: هناك إيجابيات كثيرة للتفسير العقلي، نذكر منها ما يلي:

1. العناية والاهتمام بالعقل الذي كرمه الله ﷻ وجعله من أبرز القيم الإسلامية، ومناطق المسؤولية الإنسانية، وتوظيفه للعمل في تفسير كتاب الله، وتدبر آياته من أهم الغايات التي خلق لها، وعدم تعطيله بالتقليد الأعمى، فالآيات التي ورد فيها ذكر العقل في القرآن الكريم، جاءت في تسع وأربعين موضعاً.

⁴¹ محمد رشيد رضا، الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية، (القاهرة: دار المنار، ط3، 1367هـ)، ص (ز).

⁴² عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، (البلدية: قصر الكتاب، د.ط، 1990م)، ص 138.

⁴³ فهد عبدالرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص 386.

⁴⁴ المرجع نفسه، ص 397.

2. إعمال العقل وتشغيل طاقته، والاجتهاد في فهم النصوص، وبذل الوسع فيها، فالإسلام يحذر من التقليد الأعمى، وينعى من أوقف ذهنه عن العمل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ءِآبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانُوا يَحْسِبُونَ﴾ [البقرة: 170].

3. فيه بيان أن الدين الإسلامي لا يحارب العلم، ولا ينافي العقل، وأنه دين العقل والحرية والفكر⁴⁵، فالمولى ﷺ يقول في كتابه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11].

4. مكافحة ما يسمى بالاستعمار (الاحتلال)، ومقاومة الهجوم على الدين، وإلقاء التبعة عليه وأنه سبب التخلف والتأخر عن ركب التقدم والحضارة، فتفسير القرآن بالعقل يوضح لأرباب الثقافة الغربية أهمية العقل في الإسلام، فالتاريخ يشهد أن مقاومي الاستعمار كانوا من أصحاب العقول النيرة ومن المفكرين والعلماء، ومنهم "الحاج أمين الحسيني الذي نادى بوجوب محاربة الحكم البريطاني والتسلل الصهيوني لفلسطين. وكانت له آراء في تنظيم أمور القضاء والمحاكم الشرعية، وأخذ يعمل على تقوية المدارس الإسلامية ودائرة الأوقاف واجتهاد في إنشاء مجلس إسلامي شرعي لفلسطين وحدد صلاحياته ومسؤولياته. كما نادى بوجوب اعتبار قضية فلسطين قضية العرب كلهم وقضية العالم الإسلام"⁴⁶.

5. فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا والآخرة⁴⁷، فالتفسير العقلي طريق من طرق فهم القرآن؛ كما كان التدبر وسيلة راشدة لفهم مقاصد القرآن.

6. النظر في أساليب الكتاب ومعانيه، وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة؛ ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول، فالتفسير العقلي يكشف لنا أساليب كثيرة، ومنها أسلوب التعليل القائم على الاجتهاد العقلي والاستنباط.

7. العلم بأحوال البشر في أطوارهم، وأدوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وعز وذل، وعلم وجهل، وإيمان وكفر⁴⁸، فالتفسير العقلي يقدم لنا خلاصة تجربة شعوب سابقة حتى نتجنب الأخطاء التي ارتكبوها.

⁴⁵ فهد عبدالرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص70

⁴⁶ محمد أمين الحسيني، الموسوعة الفلسطينية، (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط1، 1984م)، ص138-142.

⁴⁷ محمد عبده، فاتحة الكتاب، (القاهرة: كتاب الحرير، ط2، 1382هـ)، ص5.

⁴⁸ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ص21-24.

8. العناية بمقتضى حال هذا العصر، من سهولة في التعبير، ومراعاة لأفهام صفوف القارئ، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة، والعلوم الطبيعية وغيرها.
9. التأكيد على الوحدة الموضوعية في القرآن، وفي السور القرآنية، وتناسقها وارتباط بعضها ببعض، وفي هذا رد لأعداء الإسلام الذين زعموا أن القرآن لا يتبع منهج التأليف العلمي، وأنه خليط متنافر.
10. القول بشمولية القرآن الكريم، وصلاحه للناس كافة في كل زمان ومكان، وهذه إحدى المزايا التي اختلف بها القرآن الكريم من بين الكتب السماوية؛ إذ أن كل كتاب نزل إلى قوم بعينهم، ولزمن معين، بخلاف هذا القرآن العظيم.
11. الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، وذلك ببيان ما في القرآن من الفضائل.

سلبيات التفسير العقلي

- كما أن للتفسير العقلي إيجابيات، فإن له سلبيات وعليه ما أخذ عديدة نذكر منها إجمالاً لا حصراً ما يلي:
1. المبالغة في مدح العقل، مما أدى إلى ظلمه بإعطائه مكانة لا يطيقها، ومنزلة فوق منزلته، فالإسلام مع تكريمه للعقل حدد له مجالاته التي يمكنه الخوض فيها حتى لا يضل، وأمر العقل بالاستسلام والامتثال للأمر الشرعي الصريح، حتى ولو لم يدرك الحكمة والسبب.
2. تحكيم العقل في الأمور الغيبية التحكيم المطلق الذي يكون فيه إنكار لحقائق كثيرة أثبتتها أهل السنة إستناداً إلى النصوص، فتمرد بعضهم على الاعتقاد بوجود الجن⁴⁹.
3. تقديم العقل على النقل، وهو أحد أهم أسسهم في المدرستين القديمة والحديثة، يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "إن الدليل العقلي القطعي إذا جاء في ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين، ولنا في النقل التأويل أو التفويض"⁵⁰.
4. التشكيك بالأحاديث التي تخالف مبدأ العقل، وتجريح روايتها وإن كانت في الصحيحين، والاستشهاد بالأحاديث الموضوعية التي توافق منهجهم وتخدم ما يقره العقل ويثبتته، ومنها حديث النبي ﷺ: "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها"⁵¹، وقد رواه البخاري

⁴⁹ محمد عبد الكرم الشهرستاني، الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي، د.ط، د.ت)، ج1، ص58.

⁵⁰ محمد رشيد رضا، شبهات النصارى وحجج الإسلام، ص71-72.

⁵¹ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ن). ج4، ص1838، رقم الحديث: 2366. محمد بن إسماعيل أبو

- ومسلم وأحمد رضي الله عنهم، ومع هذا يقول الزمخشري عنه: "الله أعلم بصحته، فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها، فإنهما كانا معصومين، وكذلك من كان في صفتهم، واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا"52، فشكك في صحة الحديث أولاً ثم أوله تأويلاً باطلاً، وحمله على أنه تخييل وتصوير لا أكثر.
5. رد التفاسير التي تخالف الهدف التي سيقته له السورة، حتى يكون موضوع السورة أساساً في فهم آياتها، ومن هذا رفض الأستاذ محمد عبده قول من فسر الرزق في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: 37] بأنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وقال: "لا دليل في الآية على أن الرزق من خوارق العادات"53.
6. النقل من الإسرائيليات بما يخالف القرآن الكريم، على الرغم من تقديم لمن ينقلها، وقد ذكرنا ما يدل على هذا عند بيان منهج المدرسة العقلية الحديثة وأسسها.
7. التطرف في الاستدلال بالعلوم الحديثة عند تفسير النصوص القرآنية، ومن ذلك تفسير الشيخ محمد المراغي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11] بقوله: "وهذا الذي قرره الكتاب الكريم هو الذي دل عليه العلم، وقد قال العلماء أن حادثاً كونياً جذب قطعة من الشمس وفصلها عنها، وأن هذه القطعة بعد أن مرت عليها أطوار تكسرت وصارت قطعاً، كل قطعة منها صارت سيارة من السيارات، وهذه السيارات طافت حول الشمس، وبقيت في قبضة جذبها، والأرض واحدة من هذه السيارات فهي بنت الشمس، والشمس هي المركز لكل هذه السيارات"54.
8. ذم التقليد وأهله، ووصف المقلدين بالجمود، ويدل على هذا ما قاله أحد أتباع السيد جمال الدين الأفغاني عنه: "عرف جمال الدين باستنكافه ونفوره من التقليد من غير تمحيص، فكان يأخذ بالأحسن من الأقوال ويرد الضعيف منها، ويجهتد للاستنباط للأولى، ويتناول الأقرب للصواب، وما يقبله العقل"55.

عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ). ج4، ص164، رقم الحديث: 3431.

52 جار الله محمود الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص426.

53 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ص293-294.

54 أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص14.

55 محمد المخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني، ص111.

فيتين لنا من خلال ما سبق: أن خطر سلبيات التفسير العقلي، أكبر وأعظم من أهمية إيجابياتها، فيجب على المفسر أن يتنبه لها ويتبصر بالصواب الذي يرشده إلى تفسير كتاب الله عزوجل وفق المنهج الإسلامي الصحيح، فما كان من إيجابيات في هذا المنهج فيؤخذ به ويستفاد منه لما فيه من نفع في فهم كتاب الله وتفسيره، وما كان من سلبيات فيجب اجتنابها والبعد عن استخدامها لما فيها مخالفات صريحة لأصول الدين وثوابته الراسخة، فلا يجوز تأويل الأحاديث وردّها لمخالفتها العقل أو العلم الحديث ونحوه، كما أن استخدام العقل لا بد له من ضابط، وهو التوسط فلا إفراط ولا تفريط، ولا يكلف فوق طاقته ولا يعطى فوق منزلته، ولا يخس حقه أيضا.

نتائج البحث

أبرز البحث النتائج التالية:

1. المدرسة العقلية الحديثة هي امتداد للمدرسة العقلية القديمة وهي المعتزلة، مع وجود فروق ومواطن اتفاق كثيرة.
2. تفسير القرآن بالعقل، لا بد أن يكون ضمن ضوابط الشرع؛ فمتى ما تهادى الإنسان وشطح؛ خرج عن المنهج السليم الصحيح الذي يأمر به الله عز وجل.
3. أظهر البحث عدداً من الإيجابيات للتفسير العقلي منها: أن القرآن الكريم كثرت فيه الآيات الدالة على أعمال العقل وأعطت العقل مكانة لم يعطها من قبل.
4. كما أظهر البحث عدداً من السلبيات للتفسير العقلي أهمها: تقديس العقل وتقديمه على النصوص الشرعية الصحيحة أحياناً.
5. ضرورة إحياء فكرة التوازن، في مسألة النظر إلى العقل كأداة تفسيرية للقرآن الكريم، بين التقديس والإنكار.

قائمة المصادر والمراجع

References

- ‘Abduh, Muhammad. (1382). *Fātiḥat Al-Kitāb*. (2nd ed). Cairo: Kitāb Al-Ḥarīr.
- ‘Abduh, Muhammad. (1387). *Tafsīr Juz` ‘amma*. (n. ed). Al-Azhar: Maktabat Muhammad ‘Alī Ṣabīḥ.
- Al-‘Ak, Khālīd ‘Abd Al-Raḥmān. (1986/ 1406). *Uṣūl Al-Tafsīr wa qawa’iduh*. (2nd ed). Bayrut: Dār Al-Nafā’is.

Al-Bukhārī, Muhammad bin ismā'il Abū 'Abd Allah al-Ju'fī. (1422). *Al-Jāmi' Al-Musnad Al-ṣaḥīh Al-Mukhtaṣar min 'umūr Rasul Allah wa sunanihi wa ayyamihi*. (1st ed). Bayrūt: Dār Ṭawq al-Nujat.

Al-Dhahabī, Muḥammad Husayn. (1381). *Al-Tafsīr wa al-Mufasssirūn*. (1st ed). Dār Al-Kutub Al-Ḥadīthah.

Al-Hamdānī, 'Abd al-Jabbār Aḥmad. (n. d). *Tanzīh al-Qur'an 'an al-maṭā'in*. (n. ed) Bayrūt: Dār Al-Nahḍat Al-Ḥadīthah.

Al-Husaynī, Muḥammad Amīn. (1984). *Al-Mausū'ah al-Falastīniyyah*. (1st ed). Dimashq: Hai`at al-Mausū'ah al-Falastīniyyah.

Al-Maghribī, 'Abd al-Qādir. (1366). *Tafsīr Juz` Tabāraka*. (n. ed). N.p: Al-Maṭba'ah Al-Amīriyyah.

Al-Marāghī, Aḥmad Muṣṭafā. (1394). *Tafsīr Al-Marāghī*. (3rd ed). Egypt: Maktabat Muṣṭafā Al-Ḥalbī.

Al-Māzindrānī, 'Alī Akbar. (1428). *Durus Tamhīdiyyat fī al-Qawā'id Al-Tafsīriyyah*. (1st ed). Iran: Mu`assasat Al-Nashr Al-Islāmī.

Al-Rūmī, Fahd 'Abd Al-Raḥmān. (1983/ 1403). *Manhaj Al-Madrasah Al-'Aqliyyah Al-Ḥadīthah fī Al-Tafsīr*. (2nd ed). Mu`assasat Al-Risālah.

Al-Suyūfī, 'Abd Al-Raḥmān bin Abī Bakr Jalāl Al-Dīn. (1974/ 1394). *Al-Itqān fī 'Ulūm Al-Qur`ān*. (n. ed). Taḥqīq: Muhammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. Cairo: Al-Hay`at Al-Miṣriyyat Al-'Āmmat Lil Kitāb.

Al-Suyūfī, Jalāl Al-Dīn. (1951/ 1370). *Al-Itqān fī 'Ulūm Al-Qur`ān*. (3rd ed). Egypt: Muṣṭafā Al-Ḥalbī.

Al-Zamakhshārī, Jār Allah Maḥmūd. (1293). *Aṭwāq Al-Dhahab fī Al-Mawā'iz wa al-khiṭab*. (n. ed). Bayrut: Maṭba'ah jam'iyyat Al-Funūn. Maqālat 37.

Al-Zamakhshārī, Jār Allah Maḥmūd. (1998/1419). *Asās Al-Balāghah*. Taḥqīq: Bāsil Muḥammad 'Uyūn Al-Sūd. (1st ed). Bayrut: Dār Kutub Al-'Ilmiyyah.

Al-Zarkashī, Muḥammad bin 'Abd Allah. (1994). *Al-Baḥr Al-Muḥīṭ fī Uṣūl Al-Fiqh*. (1st ed). Dār Al-Kutub.

Al-Zarkashī, Muhammad bin 'Abd Allah. (1994). *Al-Burhān fī 'Ulūm Al-Qur`ān*. Taḥqīq: Muhammad Abū Al-Fadhl. (N. ed). Cairo: Dār Al-Turāth.

Ayāzī, Muhammad 'Alī. (1313). *Al-Tafsīr wa al-Mufasssirūn hayatuhum wa manhajuhum*. (1st ed). Tehrān: Mu`assasat al-ṭiba'ah wa al-nashr wizarah al-tsaqāfat wa al-'Irshad al-Islāmī.

Hasan, 'Uthmān 'Alī. (2006/1427). *Manhaj al-'Istidlāl 'Alā Masā'il al-'Iṭiqād*. (5th ed). Vol. 1. Riyādh: Maktabat Al-Rushd.

Hossam Moussa Mohamed Shousha, Conditions of the human soul in the Holy Quran and how to deal with it, Al-Risalah: Journal of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences (ARJIHS) e-ISSN: 2600-8394, Vol 1 No 1 (2017).

Ibn manzūr, Muhammad bin Mukrim Jamal al-Dīn. (1414). *Lisān al-'arab*. (3rd ed). Bayrūt: Dār al-Sādir.

Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd Al-Ḥalīm. (2001/1422). *Bughyat Al-Murtād fī Al-Radd 'ala al-mutafalsifat wa al-qarāmīṭah wa al-bāṭiniyyah ahl al-ilhad min al-qā'ilin bi al-Ḥulul wa al-'ittiḥād*. (3rd ed). Taḥqīq wa dirāsah: Mūsā bin Sulaymān al-duwaysh. Al-Madīnat al-Munawwarah: Maktabat al-'ulūm wa al-hikam.

Jāwīsh, Abd Al-'Azīz. (1331). *Tafsīr Asrār Al-Qur`ān*. Al-Astānah: Maṭba'at al-Hidāyah.

Ma'rifat, Muḥammad Hādī. (1998/ 1419). *Al-Tafsīr wa al-Mufasssirūn fī thaubihi al-Qushaib*. (1st ed). Vol. 2.

Mīlad, Maḥjūb. (n. d). *Al-Fikr Al-Islāmī bayn al-'ams wa al-yawm*. (n. ed). Tunis: Al-Sharikat al-Qawmiyyat li al-Nashr wa al-tawzi'.

Muslim, bin Al-Ḥujjaj Abū Al-Hasan Al-Qushairī Al-Naysābūrī. (n. d). *Al-Musnad Al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi Naql al-'Adl 'an al-'Adl 'ilā Rasul Allah*. (n. ed). Taḥqīq: Muḥammad Fu'ād 'Abd Al-Bāqī. Bayrūt: Dār Ihya' al-Turāth al-'Arabī.

Riḍa, Muḥammad Rashid. (1327). *Shubhāt al-Naṣārā wa ḥujaj al-Islām*. (2nd ed). Cairo: Dar Al-Manār.

Riḍa, Muhammad Rashid. (1954/1373). *Tafsīr Al-Manār*. (4th ed). Cairo: Dar Al-Manār.

Shihātah, 'Abd Allah Maḥmūd. (1963/ 1382). *Manhaj Al-Imām Muhammad 'Abduh*. (2nd ed). Cairo: Al-Majlis al-'Alā li Ri'āyat Al-Funūn wa al-Ādāb wa al-'Ulūm Al-Ijtimā'iyyah. 44 nashr Al-Rasā'il Al-Jāmi'iyyah.

Zaydān, 'Abd Al-Karīm. (1990). *Usūl Al-Da'wah*. (n. ed). Al-Balīdah: Qaṣr Al-Kitāb.